عبدالله محمد صالح باشراحيل

عُمْرٌ بِلاَ زَمَنْ

شعر

دار العلم للملايين

عمر بلا زمن

الْإِهْدَاءُ

إِلَى جَدِّي فِي شَجَرَةِ الْأَسْلَافِ الْمَلِكِ امْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ إِمَامِ الشُّعَرَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَسَلِيلِ (كِنْدَةَ الْمُلُوكِ)

أُهْدِي قَبَسًا مِنْ شُعَاعِ شَمْسِ الشِّعْرِ فِي آفَاقِ الْخُلُودِ الْإِنْسَانِيِّ، لِيَكُونَ ضَوْءًا يُنِيرُ ظَلَامَ دُرُوبِ الْعَابِرِينَ إِلَى مَرَافِئِ غُيُومِ الْحَالِمِينَ، الْآمِلِينَ، السَّاهِرِينَ عَلَى طُفُولَةِ الْوَقْتِ يَسْتَشْرِفُونَ الرَّبِيعَ الضَّاحِكَ عَلَى مُحَيَّا النَّصْرِ الْعَرَبِيِّ.

إِلَى أُمَّةٍ خَلَتْ، لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ، إِلَى أُمَّةٍ حَاضِرَةٍ تَئِنُّ مِنْ وَطْأَةِ الْأَلَمِ وَالِانْهِزَامِ، وَإِلَى أُمَّةٍ تَأْتِي، تُزِيحُ عَنْ كَوَاهِلِ الْأَزْمِنَةِ جَبَرُوتَ الظُّلْمِ وَالْمَذَلَّةِ وَالْهَوَانِ، تَنْشُرُ السَّلَامَ بَعْدَ الْعَدَاءِ، وَتَرْفَعُ لِوَاءَ الْحَقِّ وَالْمَعْرِفَةِ، وَتَنْزِعُ مِنَ الصُّدُورِ غَلَائِلَ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ وَالْبَغْضَاءِ؛ لِيَكُونَ الْحُبُّ آيَةَ الْحَيَاةِ الَّتِي تُصَوِّرُ جَمَالَ الْقُلُوبِ الْمُعَطَّرَ بِصَفَاءِ الْوُجُودِ، وَغِنَاءِ الْعَنَادِلِ، وَوَشْوَشَاتِ الْأَوْرَاقِ وَقَطَرَاتِ النَّدَى وَنَسِيمِ النَّسَائِمِ، وَنَجَاوَى الْعُشَّاقِ وَنَظَرَاتِ الْأَخِلَّاءِ، وَوَفَاءِ الْأَوِدَّاءِ، وَعَدَالَةِ الْقَادِرِينَ، وَحِلْمِ الْعَافِينَ، وَبَهَاءِ الصَّابِرِينَ، وَسَلَامِ الْآمِنِينَ.

الشَّاعِرُ[1] عَبْدُ اللهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ صَالِحِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ بَاشْرَاحِيلَ .... بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ عِوَضِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ عُمَرَ بْنِ غَرِيبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ قَيْسِ بْنِ كَعْبِ بْنِ أَسْلَمَ بْنِ غَرِيبِ بْنِ الْحِصَانِ بْنِ الدَّيَّانِ بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ مُرَّةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ شَرَاحِيلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْأَكْرَمِينَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ ثَوْرِ بْنِ مُرْتَعِ بْنِ كِنْدَةَ.

عَلَى امْتِدَادِ سُلْطَانِ كِنْدَةَ فِي الْحِجَازِ وَنَجْدٍ وَالشَّامِ وَالْعِرَاقِ كَانَتْ هَذِهِ الْأُسْرَةُ تَقْطُنُ مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةَ لِأَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثِمِائَةِ عَامٍ.

(1) انْظُرْ كِتَابَ الْأُسْتَاذِ الْعَلَّامَةِ عَلِيٍّ الْعَبَّادِيِّ: نَظَرَاتٌ فِي الْأَدَبِ وَالتَّارِيخِ وَالْأَنْسَابِ.

مِنْ شِعْرِي:

أَنَـا ابْـنُ الْـمَـالِـكِـيـنَ بِـكُـلِّ أَرْضٍ فَـجَـدِّي كِـنْـدَةُ الْـمَـلِـكُ الْـيَـمَـانِـي
وَإِنِّـــي شَـاعِـرُ الْـعَـصْـرِ الْـمُـجَـلِّـي وَإِنِّـــي فَـــارِسٌ شِـعْـرِي حِـصَـانِـي
وَعُـــذْرِي أَنَّـنِـي مَـا خُـنْـتُ عَـهْـدِي وَلَـــمْ أَبْـخَـلْ بِـحَـبَّـاتِ الْـجُـمَـانِ

مُعْجِزَةُ الْأُمَمِ

شَرْخٌ أَصَابَ الْأَرْضَ مِنْ حَمْلِ الْأَلَمْ
وَرِيَاحُ أَهْوَالٍ تَعَدَّتْ مِنْ بَرَاكِينِ الحُمَمْ
مِمَّا يَحِيقُ بِهِ الشَّقَاءُ
وَمَا لِصَوْتِ الْخَوْفِ فَمْ
وَالْعُمْرُ إِبْحَارٌ سَفِينَتُهُ الْمُنَى
وَنَثِيرُ آجَالٍ مُخَضَّبَةٍ بِدَمْ
هَذِي الْبَرَاءَاتُ اكْتَوَتْ نَدَمًا
وَرَيْبُ الدَّهْرِ مِيلَادُ الْأَسَى،
وَتَمَزَّقَتْ فِي غَمْرَةِ الطُّوفَانِ أَحْشَاءُ الْمُدُنْ
هَا قَدْ تَمَادَى الْعَصْرُ فِي نَشْرِ الظَّلَامِ
وَرَاحَ يَحْتَبِسُ الْوُعُودَ
يَرَى الضَّمَائِرَ بَيْنَ أَنْفَاسِ الشَّقَاءِ
وَبَيْنَ أَمْشَاجِ الْكَلِمْ
أَنَا مِنْ جَنَى الْوَادِي وَمِنْ جَدْبِ الثَّرَى
مِنْ خصْبِ إِحْسَاسٍ تَنَدَّى بِالْأَمَلْ
وَالْخَفْقُ قَلْبٌ نَابِضٌ
يَرْتَادُهُ وَقْعُ الصَّدَى
قَبْلَ الشَّجَنْ
وَلَكَمْ مَرَرْتُ
عَلَى الدُّجَى وَعَلَى الصَّبَاحِ
وَكَمْ بَكَيْتُ وَكَمْ ضَحِكْتُ

وَكَمْ وَكَمْ
حُبِّي مَصِيرِيٌّ
وَعَطْفِي مِثْلُ رَيَّانِ النَّسِيمِ
يَذُوبُ فِي نَجْوَى الْقُلُوبِ
فَآهِ مِنْ وَجَعِ الْجُحُودِ،
وَآهَةٌ تَرْتَاحُ فِي رَجْعِ السُّكُونِ،
وَآهَةٌ كُبْرَى مُقَسَّمَةُ الْحُظُوظِ
وَكُلُّنَا آهَاتُ أَطْيَافٍ وَوَهْمٍ كالدِّيَمْ
مَنْ سَوْفَ يُلْهِينَا؟
وَمَنْ يُلْهِي الْمَصِيرْ؟
وَلَقَدْ تَقَادَمَ فِي الزَّمَانِ الصَّبْرُ وَالسُّلْوَانُ
لَكِنْ مَنْ يَرُدُّ الْعُمْرَ مِنْ جُزُرِ الْفَنَاءْ؟
هَا إِنَّهُ بِالْمَوْتِ يَرْحَلُ لِلْحَيَاةِ
لِكَيْ يُطِلَّ عَلَى النِّيَامِ
مِنَ الْحُلُمْ
يَا ظِلَّ أَعْوَادِ السَّنَابِلِ لَا الْقَنَابِلِ،
وَالْعَنَادِلِ لَا الْغَوَائِلِ، يَا صَدَى الْأَعْذَارِ
كَمْ تَسْتَنْجِدُ الْأَرْضُ الْخَرَابُ النَّاسَ
إِحْسَاسًا يَمُدُّ يَدَ السَّلَامْ،
وَالْحُبُّ، لَيْسَ سِوَاهُ،
مُعْجِزَةُ الْأُمَمْ

اللَّيَالِي الْعِجَافُ

وَسَاهِرَةٍ فِي اللَّيَالِي الْعِجَافْ
وَسَاهِمَةٍ فِي خُيُوطِ العَنَاءِ
مُخَضَّبَةٍ مِنْ دُمُوعِ الْوَفَاءِ
تُلَمْلِمُ أَيَّامَهَا وَالضِّفَافْ
تَثَاءَبَ فِيهَا الصَّبَاحُ
وَبَيْنَ الْمَآقِي
سَنَا دَمْعِهَا مِثْلُ قَطْرِ النَّدَى وَاللُّجَيْنِ
تَهَادَى بِهَا وَسَنُ الْحَالِمِينْ
لِكُلِّ الْمَدَائِنِ
كَانَتْ تُسَافِرْ
تَزُورُ عَلَى صَهَوَاتِ الْخَيَالِ الْحَنِينْ
فَيَعْبَقُ مِنْهَا شَمِيمٌ
يَشُوقُ الرَّبِيعَ
فَمَاذَا تَكُونْ؟
سِوَى غَادَةٍ مِنْ ذَكَاءٍ عَفِيفْ
إِذَا طَلَعَتْ فَهْيَ شَمْسُ الشُّمُوسِ تُثِيرَ الْقَمَرْ
وَأَتْرَابُهَا الْقَطْرُ وَالظِّلُّ وَالطَّلْعُ وَالطَّيْرُ وَالْيَاسَمِينْ
تَسِيرُ بِهَا السُّحْبُ فَوْقَ الزَّمَانِ
تَرَبَّتْ عَلَى وَشْوَشَاتِ النَّسِيمْ
تُقِيمُ بِضَوْءِ النُّجُومْ
تَرُودُ السَّنَابِلَ عِنْدَ الْحُقُولِ

وَحِينَ أَضَاعَتْ سِمَاتِ الْغُرُوبِ
أَسَرَّ لَهَا اللَّيْلُ سُوءَ السَّرَائِرْ
وَجَاءَ يَدُسُّ الْعَنَا لِلضِّعَافْ
يُقَامِرُ بِالصِّدْقِ وَالزَّيْفِ وَالطُّهْرِ
وَهْوَ الَّذِي قَدْ تَعَلَّمَ عِلْمَ الْخِيَانَةِ وَالْإِنْتِقَامِ
تَعَلَّمَ كُلَّ عُلُومِ الْعَدَاوَةِ ثُمَّ السَّفَالَةْ،
أَطَلَّ فَأَوْدَى بِحُلْمِ الرِّهَافْ
يُخَاطِرُ بِالْمُوبِقَاتِ الثَّكَالَى
يُعَاهِدُ زَيْفًا بِكُلِّ الْكُتُبْ
وَمَا هُوَ إِلَّا وِعَاءُ الْكَذِبْ
يُتَاجِرُ بِالْكَوْنِ وَهْمًا؛
فَيَوْمًا يَبِيعُ الْبِطَاحْ
وَيَوْمًا يَبِيعُ الْجِرَاحْ
وَيَوْمًا يَبِيعُ الرِّيَاحْ
وَدَوْمًا بِسُوقِ الْكَبَائِرِ
عَاشَ يُسَاوِمُ حَتَّى السَّمَاحْ
يُفَاخِرُ بِالْغَدْرِ
فَهْوَ الَّذِي قَدْ أَخَافَ الْعَنَادِلْ
تَوَلَّى بِهِ الزَّمَنُ الْمُسْتَبَاحُ وَزَالْ
كَأَنْ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ صِلٍّ وَمَاتَ
فَكَمْ ذَا سَقَى مِنْ سُمُومِ الْخِدَاعِ
وَهَا هُوَ يَمْتَصُّ بَاقِي الزُّعَافْ

الرَّقْمُ

ابْحَثْ عَنِ الرَّقَمْ
فَالصِّفْرُ كَالْعَدَمْ
زَوْجَانِ
أَنْجَبَا خَلَائِقَ الْأَصْفَارِ وَالْأَسْمَاءِ، وَالرُّمُوزُ أُمَّةٌ
كَالشَّمْسِ وَالْقَمَرْ
أَوْ كَالرِّيَاحِ وَالظَّلَامِ وَالصَّبَاحِ وَالْجَمَالِ وَالْغُيُومِ وَالْمَطَرْ
كُنْ حِكْمَةً
لَا حَاكِمًا وَلَا حَكَمْ
كُنْ خَارِقًا وَمُبْدِعًا، وَأَنْتَ آمِرٌ عَلَيْكْ
وَمِنْكَ خَادِمٌ لَدَيْكْ،
كُنْ مُفَكِّرًا وَعَامِلًا لَا خَامِلًا،
تَقْتَاتُ مِنْ فُتَاتِ فَضْلَةِ الْحَيَاةْ
تَعِيشُ فِي هَوَامِشِ الرَّجَاءِ،
كَالْهَبَاءِ بِالْهَبَاءِ يَلْتَصِقْ
حَدِّقْ إِلَى الشَّفَقْ
ابْدَأْ مِنَ الْأَلَمْ
مِنْ عَثْرَةِ الْقِدَمْ
ابْحَثْ عَنِ الْوُجُودِ بِالْعَقْلِ وَالْقَلَمْ
سَلْ عَالَمَ الْحَيَاةِ عَنْ سُلَالَةِ الْأَشْيَاءِ
فِي الْأَحْيَاءِ وَالنَّبَاتِ وَالْجِبَالِ وَالتُّرَابِ وَالْفَضَاءْ
عَنْ كُلِّ شَيْءٍ نَابِضٍ وَجَامِدٍ وَحَارِقٍ،

فِي الصَّخْرِ أَوْ فِي الثَّلْجِ أَوْ فِي النَّارِ
ثُمَّ اسْتَنْطِقِ الْأَنْوَارَ مِنْ بِدَايَةِ الزَّمَانِ،
وَالْخَلَائِقُ الَّتِي هَوَتْ لِيَشْمَخَ الْهَرَمْ
مَا زَالَ إِسْمُهَا وَرَسْمُهَا
فِي مَوْكِبِ النُّبُوغِ يَنْطَلِقْ
يُنِيرُ فِي الْحَلَكْ
لَا بِالزَّئِيرِ وَالصُّرَاخِ وَالصَّفِيرْ
بَلْ مِثْلَ مَنْ
يَسْتَكْشِفُ الْمَصِيرَ، يَذْرَعُ الْأَثِيرَ بِالنَّظَرْ
كُنْ مَائِزَ الرَّقَمْ
كَالزَّهْرِ أَوْ كَالنَّخْلِ كُنْ
لَا مِثْلَمَا تَكُونُ عَادَةً عَوَاقِرُ الشَّجَرْ
طَلْعًا بِلَا ثَمَرْ
أَلَمْ تَرَ الْأَعْلَامَ يَعْتَلُونَ ذِرْوَةَ الْقِمَمْ؛
لِأَنَّهُمْ بِفِطْنَةِ الْحِجَى
قَدْ أَشْعَلُوا الدُّجَى
وَصَيَّرُوا الْحَيَاةَ بِالْعُلُومِ تَنْتَظِمْ
وَأَرْسَلُوا الْأَلْبَابَ لِلْآفَاقِ وَالْأَعْمَاقِ
كَيْ تُنِيرَ وَحْشَةَ الظُّلَمْ
إِنَّهُمُ الْأَرْقَامُ فِي الْأُمَمْ
فِي حِينَ تَرْسُبُ الْأَصْفَارُ كَالْبُثُورِ
فِي غَيَاهِبِ الْعَدَمْ
وَلَيْتَهَا رَقَمْ!!

الْكَوْنُ

أُطِلُّ مِنْ شَوَاهِقِ الدُّنَا
عَلَى الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ وَالْغُيُومِ وَالْمَطَرْ
مِنْ كَوْكَبِ الْمُنَى،
ـ دَوَائِرُ الرُّؤَى قَدِيمَةُ الْأَثَرْ ـ
كَأَنَّنَا أَوَائِلُ الْوَرَى؛
فَالشَّمْسُ مَا تَغَيَّرَتْ
وَلَا الْهَوَا وَلَا الْفُصُولْ،
هِيَ الْجِبَالُ وَالْبِحَارْ
وَالنَّبْضُ زَوْرَقُ الْحَيَاةِ فِي الْمَدَى
الْجَمَالُ كَوْكَبٌ يُثِيرُهُ الْأَنَامْ
مَنْ يَسْكُنِ الْوُجُودَ بِالرِّضَا؛
يُصَاحِبِ الطُّيُورَ وَالْوُرُودْ
وَقَدْ سَقَى الْأَنْدَاءَ لِلصَّدَى،
يَرُودُ مَهْمَهَ النَّسِيمْ
فِي الْمَوْطِنِ الْقَدِيمْ
وَاللَّيْلُ غَابَةُ النُّجُومْ
كَأَنَّمَا الْعُقُولُ نَظْرَةُ الْأَعْمَارِ لِلْغُيُوبْ؛
فَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ رِحْلَةُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرْ،
وَنَحْنُ فِي مَدَارِهِ صُوَرْ
تَلُفُّنَا الْأَسْرَارُ وَالْحُجُبْ
فَمَنْ قَضَى

يَرَى الْغُيُوبَ رُؤْيَةَ الْبَصَرْ
لَوْ تَنْطِقُ الرُّفَاتُ فِي الْحُفَرْ
لحَدَّثَتْ عَنْ عَالَمٍ يَعْصَى عَلَى الْعُقُولِ رَسْمُهُ
يُهْدِي لِمَنْ يَعِيشُ مَوْتَهُ
تَخَرَّصَ الْإِنْسَانُ حِينَ قَالَ إِنَّهُ وَإِنَّهُ...
لَكِنَّهُ غَيْرُ الَّذِي نَظُنُّهُ
مَا أَقْدَمَ السُّؤَال فِي الدُّهُورِ
وَالْجَوَابُ فَوْقَ ذِرْوَةِ السَّدِيمِ
وَالرَّجَاءُ خَوْفُنَا عَلَى الْأَنَا

الْعَاشِقَتَانِ

لِلْعَاشِقَتَيْنِ الْوَلَهُ الْحَائِرُ فِي الْأَحْدَاقْ
وَصَدَى الْمَعْشُوقِ حَدِيثٌ يَهْمِسُ بِالْأَشْوَاقْ
يَرْتَشِفُ الظَّمَأَ الشَّبَقِيَّ فَمٌ وَلِسَانْ
يَشْغَفُهُ عَطِرُ الشَّمِّ وَثَغْرُ اللَّثْمِ وَحِضْنُ الضَّمْ
يَمْتَصُّ رَحِيقًا مِنْ ذَوْبِ سُلَافِ الشَّفَتَيْنْ
وَيَدَانِ تُرَبِّتُ وَاحِدَةٌ حَوْلَ الطَّيْرِ الثَّائِرِ فِي النَّهْدَيْنِ
وَأُخْرَى تَلْتَفُّ عَلَى الْخَصْرِ،
وَغُصْنٌ يَفْتَرِعُ النَّبْعَ فَيَنْضَحُ خَمْرًا ثُمَّ لُجَيْنْ
وَاللَّيْلُ الشِّتْوِيُّ الْقَارِسُ مَا بَيْنَ اللَّمْسِ وَبَيْنَ الْهَمْسِ
يُخَدِّرُ عَيْنْ
وَيُسَهِّدُ لِلْأَشْوَاقِ الْحَرَّى عَيْنْ
جَاءَتْ (دُونَا) بِالْقَدِّ الْفَارِعِ مِثْلَ النَّخْلْ
وَصَدِيقَتُهَا (دِيمَةُ) تُمْطِرُ مِنْ قَطْرِ الشَّمْسِ نُجُومًا زُهْرْ
فَهُمَا لِجَمَالِ الْغِيدِ كَأَزْهَارِ السَّوْسَنِ فِي الْحَقْلِ
تَقَاسَمَتَا مِيرَاثَ الْحُسْنِ
تَعَالَيْتَا عَنْ سِحْرِ الرِّئْمِ
تَعَلَّمَتَا أَسْرَارَ الْعِشْقِ
تَخَالُهُمَا اللَّبْوَةَ وَالنَّمِرَةْ
وَتَخَالُهُمَا كَوَمِيضِ الْبَرْقْ
هِيَ ذِي (دُونَا) فِي عُمْرِ الوَرْدِ
وَتَصْغُرُهَا (دِيمَةُ) فِي سَنَواتِ الْعُمْرْ

لَكِنَّهُمَا أَيْقَاظُ الْفِكْرْ
لَهُمَا فِي وُدِّ الْعَاشِقِ شَرْطْ!
أَنْ يَهْوَى حَتَّى الْمَوْتِ
لِيُثْبِتَ صِدْقَ الْحُبْ
وَعَلَيْهِ بِأَنْ يَخْتَارَ
فَإِمَّا الْوَرْدُ وَإِمَّا الْفُلْ
قَالَتْ (دِيمَةُ): لَوْ يَخْتَارُ سِوَايَ
سَأُصْلِيهِ ضِرَامَ الْوَجْدْ.
قَالَتْ (دُونَا): وَأَنَا مِثْلُكِ أَفْعَلُ
فَتَعَالَيْ نَسْأَلُهُ مَنْ مِنَّا يَخْتَارْ؟
نُغْرِيهِ فَلِلْأُنْثَى كَيْدٌ وَدَهَاءٌ
هُوَ كَانَ قَرِيبًا يَسْمَعُ عَنْ نَبْسِ الْأَسْرَارْ
فَذَكَاءُ الْعَقْلِ ضِيَاءٌ يَسْبَحُ كَالْأَنْهَارْ
يَتَقَطَّرُ مِنْ دَمَعَاتِ الْغَيْمِ
جَوَابًا إِثْرَ سُؤَالْ
سَأَلَاهُ فَقَالَ:
لِمَ لَا يَمْلِكُ رَجُلٌ أَنْ يَهْوَى امْرَأَتَيْنْ؟

عِشْقُ الرُّوحِ

أَسْرَارُكِ بَحْرٌ بَيْنَ الْقَلْبِ وَبَيْنَ الْعَقْلِ
أُقَلِّبُ فِي الْكِتْمَانِ
وَأَبْحَثُ فِي أَعْمَاقِي عَنْكِ
وَأَدْخُلُ فِي شِرْيَانِ الصَّمْتِ
وَأَخْرُجُ مِنْ أَنْفَاسِكِ نَسْمَةَ عِطْرْ
أَشْعُرُ أَنِّي غِبْتُ وَعُدْتُ
وَكُنْتُ رَهِينَ الْغَمْضِ وَوَقْرِ السَّمْعْ
مِنْ زَمَنٍ أَسْبَحُ بَيْنَ الشَّمْسِ وَبَيْنَ الظِّلِ،
فَكَيْفَ إِذَنْ أَقْفَلْتِ عَلَى الْأَسْرَارِ الْعُمْرْ؟
كَيْفَ سَأَعْرِفُ لُغَةَ النَّبْضِ
وَآنَسُ فِيكِ الْحُبَّ، أَكَادُ أَشُكُّ
أُحَدِّقُ بِالْأَفْكَارِ إِلَيْكِ
وَأَلْمَسُ فَيْضَ الْحُسْنِ
أُصَدِّقُ ثَغْرَ الْهَمْسْ
وَأَرَى الْأَسْرَارَ غُيُوبًا تَعْلَمُ عَنْ مَكْنُونِ النَّفْسِ
وَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ عَنْ نَفْسْ
لَوْ حَظِيَتْ لَيْلَى أَوْ عَزَّةُ أَوْ عَبْلُ بِمَنْ أَحْبَبْنْ
لَتَلَاقَتْ أَنْفَاسُ الْأَحْبَابِ
وَمَاتَ الْخَوْفُ بِحَدِّ الْعِشْقْ
عُمْرُ الْعُشَّاقِ حَكَايَا وَأَسَاطِيرُ
تُحَدِّثُ عَنْ أَنَّاتِ وَجَوًى،

وَهَوَى الْأَشْوَاقِ يَطُوفُ،
فَمَنْ ضَاجَعَ دُونَ الْجِسْمِ الرُّوحْ
فَسَيَعْرِفُ أَسْرَارَ الشَّهْوَةِ
وَيَلَذُّ الْعَاشِقُ لِلْمَعْشُوقْ
فَرَبِيعُ الْحُبِّ طُيُوفُ الْحُبِّ
وَأَسْرَارُ الْعِشْقِ جَمَالٌ يَتَجَسَّدُ فِي رُوحِ الْمَحْبُوبْ
وَأَنَا فِي بَحْرِكِ أَكْتَشِفُ الْأَعْمَاقَ
وَأَفْتَحُ أَبْوَابَ الْأَزْمِنَةِ الْمَوْصُودَةَ
كَيْ يَخْرُجَ هَذَا الشَّبَقُ الْمُوجِعُ مِنْ جَسَدِ النَّزَوَاتْ

أَجِنَّة الدُّمُوعِ

أَجِنَّةَ الدُّمُوعِ
قَطِّرِي الْجَوَى
تَحَدَّرِي عَلَى الْخُدُودِ
وَاسْكُبِي الْأَسَى
تَسَلَّلِي مِنَ الْعُيونِ
خَضِّبِي الْجُفُونَ،
وَانْثُرِي رَمَائِمَ الْهُمُوم
فَالنُّفُوسُ قَرَّحَتْ كُبُودَها الدُّهُورْ
أَمَا لَمَسْتِ كَثْرَةَ النُّدُوبِ فِي الْقُلُوبِ
وَالشُّحُوبِ فِي الْوُجُوهِ
حِينَ رَسْمُهَا يَذُوبْ
أَمَا نَظَرْتِ سَطْوَةَ الْأَحْقَادِ تَقْرَعُ الطُّبُولَ،
تُوقِدُ الْحُرُوبَ
وَالْجِيَاعُ يُطْعِمُونَ مِنْ عَنَائِهِمْ
ضَوَامِرَ الْبُطُونِ، وَالظَّلَامُ غَيْهَبُ الصَّبَاحِ،
وَالشَّوَارِدُ الْأَيَّامُ غَابَةُ الْأَنَامِ،
وَالرِّيَاحُ مَرْكَبُ الْأَرْوَاحِ
وَالْمَدَائِنُ الْعُقُولُ
تَحْرِقُ الظِّلَالَ بِالْجُحُودْ
يُسَافِرُ التُّرَابُ لِلَظَى
يُسَالِمُ الْخُطُوبَ بِالرِّضَا

وَمَا اقْتَفَى الْخُطَى سِوَى الرَّدَى
وَالْجَاثِمُ الْأَنِينُ بَرْدُهُ اكْتَوَى، وَالْخَنْجَرُ الدَّفِينُ
وَالطَّعِينُ الْوَرْد وَالنَّسِيمْ
حَدَائِقُ الصُّدُورِ أَوْرَقَتْ لَظىً عَلَى الضُّلُوعْ
أَنْفَاسُهَا تَمَنَّعَتْ عَنْ خَفْقِهَا
تَمُوتُ فِي الْبُكُورِ، وَالْقُبُورُ جَنَّةُ النِّسْيَانِ
وَالْفَقِيدُ النَّبْضُ فِي الشُّعُورْ
يَا نَازِفًا دَمَ الضِّيَاءِ لِلْغُرُوبْ
وَعَازِفًا عَنِ الْوَرَى فِي صُحْبَةِ الْقَنُوعْ
لَمْ يَبْقَ فِي الزَّمَانِ غَفْلَةٌ سِوَى الذُّنُوبِ،
تَمْتَطِي النَّجَائِبُ الْعِتَاقُ
صَهْوَةَ الْفِرَاقِ،
فَابْكِ مِثْلَمَا بَكَتْ فِي سَالِفِ الْأَحْقَابِ
أُمَّةٌ مِنَ الْفُرْسَانِ وَالشُّجْعَانِ وَالْأَعْدَاءِ وَالْخِلَّانْ
هِيَ الْحَيَاةُ قَدْ أَضَاعَتِ الْعُنْوَانَ وَالْأَسْمَاءَ وَالْبِلَادْ
فَأَيْنَ أَنْتِ يَا ثَمُودُ أَيْنَ عَادْ؟
بَلْ أَيْنهَا ذَاتُ الْعِمَادْ؟
تَجَرَّعَ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيَاتِهِ الْقَذَى
يَا نَاشِرَ الشَّذَى
سِيَّانِ أَنْتَ أَوْ أَنَا
فِي خَاطِرِ الْمَدَى
لِأَنَّهَا الدُّنَا
مَا فَرَّقَتْ بَيْنَ النَّفِيسِ وَالْخَسِيسِ قَبْلَنَا وَبَعْدَنَا

أَشْرَاطُهَا دَنَاءَةُ الْغِوَى
يَفِيضُ مِنْ إِنَائِهَا الْخَنَى
فَالْحُبُّ فِي شُطْآنِهَا خَطِيئَةٌ
عِقَابُهَا آثَامُهَا
يَا وَيْلَتَا إِنْ كَشَّرَتْ أَنْيَابَهَا
تَفْتَرُّ عَنْ آلَائِهَا آلَامُهَا
إِلَّا عَلَى أَوْغَادِهَا
تَهْدِيهِمُ أَوْهَامَهَا كَيْ تَقْتَفِي آرَابَهَا
مِنَ الذُّهُولِ لِلْأُفُولْ
وَالنَّاسُ لَمْ تَزَلْ تَسْتَكْشِفُ الدُّرُوب
تَنْشُدُ الْهُرُوبْ
تَشُدُّهَا الْآمَالُ لِلْبَقَاءِ وَالْخُلُودْ
هَيْهَاتَ وَالرُّؤَى حَبِيسَةُ الْغُيُوبْ
تَقْتَاتُ خَلْقَهَا الْحَيَاةْ
وَلَمْ تَزَلْ شَبْعَى وَلَمْ تَزَلْ تَجُوعْ

(أَبِي)

خَمْسُونَ مَرَّتْ يَا أَبِي
وَالشَّيْبُ خَضَّبَ مَفْرِقِي
قَدْ كُنْتَ تُشْعِلُ كَالْمَصَابِيحِ الْأُفُقْ
تُلْقِي عَلَى الْأَفْرَاحِ أَلْوَانَ الشَّفَقْ
وَصَدَاكَ رَجْعٌ لِلْمُنَى لَمَّا يَزَلْ
وَتَطُوفُ أَحْيَانًا عَلَى خَيْلِ الْحُلُمْ
فِي غَمْضِ عَيْنٍ لَمْ تَنَمْ
وَأَرَاكَ بِالطَّيْفِ الْحَبِيبِ تَقُولُ لِي هَيَّا ابْتَسِمْ
وَأَنَا عَلَى جَمْرِ الْأَرَقْ
عُمْرِي احْتَرَقْ
مَا بَيْنَ أَنْفَاسِ الْوَرَقْ
وَنَظَرْتُ أَعْيَادَ السُّرُورِ عَلَى مُحَيَّاكَ النَّضِرْ
أَشْتَاقُ أَنْ أَدْنُو إِلَيْكَ
إِلَى حَدِيثِكَ أَمْتَثِلْ
هَا قَدْ مَضَى الْأَمْسُ الْوَرِيفُ عَلَى عَجَلْ
وَالْبُلْبُلُ الصَّدَّاحُ أَدْمَتْهُ الْجُرُوحْ
سَهْمُ الْقَرِيبِ أَصَابَهُ قَبْلَ الْبَعِيدْ
هُوَ طَائِرُ الصَّفْوِ الْبَرِيءِ قَدِ اغْتَرَبْ
عُذْرًا أَبِي مَا كُنْتُ أَرْغَبُ أَنْ أُثِيرَ بِكَ الشَّجُونْ
لَكِنَّنِي وَحْدِي أُعَانِي مِنْ فِرَاقِكَ وَالْمَصِيرْ
وَحْدِي وَخَلْفِي يَا أَبِي شَبَحٌ مُخِيفْ

حَاوَلْتُ أَنْ أَثْنِيهِ عَنْ رَوْضِي
وَأَنْ أُهْدِيهِ مِنْ ثَمَرِي الْكَثِيرْ
أَعَلِمْتَ يَا أَبَتَاهُ عَنْ ظُلْمِ الْأَمَلْ؟
طَعَنَاتُ أَحْبَابِي سُيُوفٌ فِي الْوَرِيدْ
يَسْتَنْسِخُونَ مِنَ الشُّرُورِ وَلَائِدًا
خَرْقَاءَ تَخْتَارُ الزَّلَلْ
عَفْوًا أَبِي تَعِبَ الْوَفَاءُ مِنَ الْمَسِيرْ
أُبْدِي الطُّيُوبَ مُوَاكِبًا
وَأَعُودُ بِالْجَحْدِ الْأَلِيمْ
زَمَنٌ مُرِيبٌ يَا أَبِي لَا حُبَّ فِيهِ وَلَا حَبِيبْ
إِلَّاكَ يَا رَوْضِي الظَّلِيلْ
يَا صَاحِبَ الْخُلُقِ النَّبِيلْ
دَعْ طَيْفَكَ الْحَانِي
يَمُرَّ عَلَيَّ بِالْحُلُمِ الْجَمِيلْ
عَلَّ الْمَوَاجِعَ تَرْعَوِي
أَوْ يَنْتَهِي الْعُمُرُ السَّهِيدْ
لِنَعُودَ أَطْيَارًا يُضَاحِكُهَا الرَّبِيعْ
وَلِكَي نُرِى مِيلَادَنَا الْعُمْرَ السَّعِيدْ

الْخَطَرُ

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغُيُوبَ يَا حَبِيبَتِي
أَوْ أَقْرَأُ الْأَسْرَارَ فِي الْقُلُوبْ
لَمَا رَضِيتُ أَنْ تَمَسَّكِ الرِّيَاحُ
أَوْ تَنَالَكِ الْكُلُومُ
إِنَّهُ الظَّلَامُ
وَهْوَ كَالْأَشْبَاحِ كَانَ
قَبْلَ رِحْلَةِ الْخِتَامِ،
يَخْتَبِي فِي نَفْسِهِ عَنْ نَفْسِهِ كَالْمَوْجِ فِي الْخِضَمْ
حَبِيبَتِي لَمْ تَطْلُبِ الشُّمُوسَ وَالْبُدُورْ
بَلْ كُلُّ هَمِّهَا بِأَنْ يُنِيرَ ذَلِكَ الضِّيَاءُ فِي مَجَاهِلِ الْحَذَرْ
لِتَتَّقِي الْخَطَرْ؟
لَكِنَّهُ الْقَضَاءُ وَالْقَدَرْ!
وَنَحْنُ فِي مَدَارِهِ صُوَرْ
أَطْيَافُنَا الْبَشَرْ
وَسَوْفَ تُمْطِرُ الْغُيُومُ بِالنُّطَفْ
وَيُولَدُ الصَّفَاءُ مِنْ جَدِيدْ
لِعُمْرِكِ السَّعِيدْ
فَالْبَعِيدُ قَدْ دَنَا
وَأَوْشَكَ الْقَرِيبُ أَنْ يَكُونَ يَا حَبِيبَتِي الْمُنَى

إِحْسَاسُ الطُّيُورِ

لَا تَثُورِي
لَسْتُ بِالْجَارِحِ إِحْسَاسَ الطُّيُورِ
حُلْوَتِي الْغَضْبَى
أَشِيحِي عَنْ جَهَامَاتِ الْعُبُوسْ
أَنَا مَا قُلْتُ سِوَى: أَهْوَاكِ؛
مَا خُنْتُ ضَمِيرِي وَشُعُورِي
وَتَخَيَّلْتُكِ مِنْ ذَوْبِ الْهَنَا
صُبْحًا رَنَا
بِالْحُسْنِ مِنْ أَحْدَاقِ نُورِ
أَنَا لَمْ أَرْمِكِ بِالْقُبْحِ وَلَمْ أَنْسُبْكِ فِي جِنْسِ النُّسُورِ
يَا أَفَانِينَ حُقُولِ الشَّمْسِ
يَا ثَلْجَ شِتَائِي
وَتَرَانِيمَ قَصِيدِي وَلُحُونِي
أَنْتِ مِنْ كُلِّ الدُّنَا أُمْنِيَتِي،
كَيفَ عَلَى أُمْنِيَّةِ الصَّبِّ تَجُورِينَ؟
فَإِنْ أَهْدَيْتِنِي وَرْدَ الرِّضَا
مَاذَا يَضُرُّ الْوَرْدَ
إِنْ أَذْكَى شَذَاهُ؟
فَهْوَ مَفْطُورٌ عَلَى نَشْرِ العُطُورِ
وَالْجَمَالُ الْمُشْتَهَى
دَلٌّ وَإِينَاسٌ وَشَوْقٌ وَاخْتِصَامٌ وَصَفَاءٌ وَارْتِقَاءٌ لِلنُّجُومِ

فَدَعِي الْقَسْوَةَ تَنْأَى
أَطْلِقِي مِنْ أَسْرِكِ الدَّامِي نَعِيمِي
إِنَّمَا الْغِيدُ إِذَا رَقَّتْ سَقَتْ
ظَامِئَ الرُّوحِ بِأَنْدَاءِ الْأَثِيرِ
أَتَشَهَّاكِ كَأَنْسَامِ الرَّوَابِي
بَرْدُهَا يَسْرِي عَلَى حَرِّ الْجَبِينْ
إِنْ تَشَاوَفْتِ وَأَغْرَاكِ الصِّبَا بِيْ
فَجَمِيلٌ أَنْ تَتِيهِي بِالْفُتُونْ
فَتَعَالَيْ نَجْعَلِ الْأَيَّامَ أَعْيَادًا تَهَادَتْ بِالْعَبِيرِ
وَانْثُرِي الْآمَالَ نَشْوَى وَابْسِمِي لِي
لِلرَّبِيعِ الْغَضِّ وَالسِّحْرِ الْخَلُوبِ
صَادِقًا يَرْعَاكِ قَلْبٌ وَالِهٌ
يَزْهُو بِلُقْيَاكِ الْمُثِيرِ
تَسْبَحُ الْأَنْظَارُ فِي أَحْلَامِنَا
نَتَسَاقَى مِنْ رَحِيقٍ وَمُزُونْ
يَرْقُصُ الزَّهْرُ وَقَدْ غَنَّى لَنَا
بُلْبُلُ الدَّوْحِ مِنَ اللَّحْنِ الطَّرُوبِ
نَسْبِقُ اللَّهْفَةَ فِي أَعْمَارِنَا
كَالطُّفُولَاتِ لَدَى الْوَقْتِ اللَّعُوبِ
نَبْتَنِي بِالْحُبِّ بَيْتًا
حَوْلَهُ الْأَشْجَارُ بِالطَّلْعِ الْبَهِيجِ
فَاقْطِفِي مِنْ كُلِّ غُصْنٍ فَرْحَةً
وَلْتُطْعِمِيهَا إِنَّهَا أَشْوَاقُ رُوحِي

عُمْرٌ بِلَا زَمَن

عُمْرٌ بِلَا زَمَنْ
يَغْنَى مِنَ الْأَلَمْ
يَضِيعُ فِي غَيَاهِبِ الْغُرُوبِ
فِي الدُّجَى السَّحِيقْ
فِي رَعْشَةِ الْيَدَيْنِ وَالْقَلَمْ
وَكُلَّمَا يَمُرُّ بِالْأَمَلْ
يَحْسَبُهُ يَرْمُقُهُ
لَكِنَّهُ يُشِيحُ بِالنَّظَرْ
صَانِعُهُ لَاطَفَهُ،
تَغَافَلَتْ عَيْنَاهُ،
غَابَ فِي الْقُرَى
مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ مَا أَتَى الْمُدُنْ
سَلَا الْأَمَلْ
إِنْ غَابَ أَو حَضَرْ
يُبْصِرُهُ يُشِيحُ مِثْلَمَا أَشَاحَ مِنْ زَمَنْ
وَقَدْ رَحَلْ
لِمَهْمَهٍ خِلْوٍ مِنَ الضَّجَرْ
يَبْنِي مِنَ الْحُرُوفِ قَلْعَةً
أَشَادَ حَوْلَهَا الْحُقُولَ،
يَغْرِسُ الْعُقُولَ فِي الْبُكُورْ
لِتُثْمِرَ الْغُرُوسُ أُمَّةً جَدِيدَةً

تَحْمِي حِمَى التُّرَاثِ وَالْوَطَنْ
يَحْكُمُهَا الضَّمِيرُ وَاثِقًا وَقَدْ صَدَقْ
وَحِينَمَا أَشَادَ أُمَّةً أَتَى الْأَمَلْ
مُحَدِّقًا إِلَيْهِ ضَارِعًا يُقَبِّلُ الْجَبِينَ وَالْيَدَيْنْ
مُسْتَعْطِفًا إِلَيْهِ أَنْ يَكُونَ سَيِّدَ النُّجُومِ والقَمَرْ
فَمَا الخَبَرْ؟
بِالْأَمْسِ قَدْ أَشَاحَ بِالنَّظَرْ
وَالْيَوْمَ يَعْتَذِرْ
مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ
لَمْ يَكُنْ يَرَى الرَّبِيعَ
وَالزُّهُورَ وَالشَّجَرْ
وَقَدْ أَتَى فِي هَدْأَةِ الْخَرِيفْ
وَالْعُمْرُ شَاخَ عُودُهُ وَقَدْ مَضَى
عَلَى عَصَاهُ يَتَّكِئْ
مُتَمْتِمًا يُحَدِّثُ الذُّهُولْ
مَا نَفْعُهُ الْأَمَلْ؟!
لِمَنْ شَبَابُهُ اكْتَهَلْ
يَقُولُ لِلْأَمَلْ:
مِنْ حَيْثُ جِئْتَ عُدْ
فَأَنْتَ مَنْ سَقَيْتَنِي السَّرَابَ مِنْ قِدَمْ
وَقَدْ صَنَعْتُ عَالَمِي
مِنَ الْحُرُوفِ وَالْفِكَرْ
فَلْتَرْتَحِلْ يَا عَاقِرَ الْفَطِنْ

مَرْثِيَّةُ زَهْرِ اللَّوْزِ

(إِلَى رُوحِ الشَّاعِرِ مَحْمُود دَرْوِيش)

لِعُيُونِ زَهْرِ اللَّوْزِ
لِلْعُمْرِ الْبَنَفْسَجِ
لِلْمَسَافَاتِ الْقَصِيرَةِ
عِنْدَ أَبْوَابِ الْوَدَاعْ
هَذَا الرَّحِيلُ الصَّمْتُ
وَالتَّرْحَالُ غَابَاتُ الْمُهَاجِرِ
فَارِسٌ مِنْ عَصْرِ أَنْكَالِ الْأَلَمْ
فِي مَهْدِ أَعْيَادِ النُّجُومْ
فِي مَوْطِنٍ يَهَبُ الشُّمُوسَ الظِّلَ يَسْتَحْيِي الْغُيُومْ
هَا إِنَّهُ يَسْقِي السَّنَابِلَ دَمْعَ زَهْرِ اللَّوْزِ
وَالْبَحْرُ النَّوَارِسَ،
مَائِجٌ بِالشَّوْقِ لِلْقَطِفِ الْمُحَمَّلِ بِالزَّنَابِقِ
وَالرَّبِيعُ الْغَضُّ وَالْبَاكِي هُوَ الزَّيْتُونَ وَالتُّفَاحُ
وَالْكَرْمُ الْمُدَلَّى بِالْعِنَبْ
وَالطَّيْرُ فِي أَوْكَارِهَا رَبَضَتْ تُنَاظِرُ،
تَسْتَعِيدُ نُوَاحَ مَرْثِيَةِ الْعَنَادِلِ،
وَالدُّمُوعُ الْحُمْرُ تَذْرِفُهَا الْمَآقِي
آهِ يَا (مَحْمُودُ) كَيْفَ أَتَيْتَ؟ كَيْفَ مَضَيْتَ؟

كَيْفَ نَفَذْتَ مِنْ تِلْكَ الْمَخَاطِرِ؟
رُبَّمَا بَعْدَ اعْتِذَارِي
رُبَّمَا تَدْرِي بِأَنَّ الْقَصْدَ فِي جُرْحِ السَّحَابَةِ
أَنْ أَرَاكَ الْيَوْمَ مَاطِرْ
مِنْ كُلِّ مَاءِ الشِّعْرِ أَنْتَ الْخَصْبُ لِلْأَرْضِ الْجَدِيبَةِ
سَامِقًا فَوْقَ الظُّنُونِ
عَلَى فُتُونِ الزَّيْزَفُونِ
وَأَنْتَ فِي حَدَقِ الْعُيُونِ
صَدَدْتَ وَاشِيَنَا الْخَؤُونْ
أَنَا مَا حَسِبْتُ بِأَنَّنِي أَبْكِيكَ أَنْغَامًا مِنَ الشِّعْرِ الْحَزِينِ
وَمَا ظَنَنْتُ بِأَنَّنِي أَرْثِيكَ مِنْ بَعْدِ الْخَطِيئَةِ بِالْأَنِينْ
حَتَّى رَأَيْتُ الْفَقْدَ يَعْتَصِرُ الْجِنَانَ
وَيُنْطِقُ الصِّدْقُ اللِّسَانَ،
صَفَا الْفُؤَادُ مِنَ الضَّغَائِنِ،
وَهْوَ يَعْرِفُ أَنَّهُ الْإِحْسَاسُ
يَضْعُفُ لِلْفِرَاقِ الْمُرِّ فِي الْإِنْسَانِ
وَهْوَ يُشِعُّ مِنْ خَلْفِ اعْتِذَارَاتِ السَّمَاحَةِ بِالرِّضَا وَالصَّفْحِ كَالْأَنْوَارِ
تَعْلُو فَوْقَ عَالِيَةِ الْجِبَالِ،
تُنِيرُ مَخْبُوءَ الْجَمَالْ
يَا أَنْتَ يَا غُصْنًا تَطَاوَلَ عِنْدَ قَاصِيَةِ الْمُحَالِ

وَأَنْتَ يَا عُمْرًا تَأَرَّجَ مِنْ نِبَالَاتِ الْخِصَالِ،
وَأَنْتَ يَا مَنْ أَنْتَ جَرَّدْتَ الْقَلَمْ
مِنْ بَعْدِ مَا السَّيْفُ انْثَلَمْ
يَا أَيُّهَا الرَّمْزُ الْعَلَمْ
يَا مَنْ رَسَمْتَ النُّورَ فِي مَدِّ الظُّلَمْ
وَكَتَبْتَ أَنَّ النَّصْرَ يُولَدُ مِنْ تَبَارِيحِ الْجِرَاحْ
وَبِأَنَّكَ الْبَطَلُ الَّذِي يَبْقَى وَلَوْ كَرِهَ الْعَدَمْ
لِتَعُودَ تُشْرِقَ مِنْ تُرَابِ الْمَوْتِ
أَنْدَاءً وَشِعْرًا أَوْ نَغَمْ
وَتَكُونَ بَعْدَ الْفَوْزِ زَهْرَ اللَّوْزِ
فِي صَدْرِ الزَّمَنْ

مَجْدِي

(لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي حُسَّادٌ لَاشْتَرَيْتُ حُسَّادِي؛

فَبِهِمْ أَعْرِفُ ارْتِفَاعِي وَتَأْثِيرِي)

يُطِيلُونَ رَمْيِي
وَذَمِّي
وَظُلْمِي
وَلَيْسُوا يَطَالُونَ
نَثْرِي وَشِعْرِي
وَكَمْ حَاوَلُوا
أَسْرَ فِكْرِي وَفَنِّي فَخَابُوا
وَعَادُوا بِخِزْيٍ وَقَهْرِ
يُحِسُّونَ أَنِّيَ عِبْءٌ عَلَيْهِمْ
وَأَنِّي خُلِقْتُ لِتَعْجِيزِهِمْ،
وَفَضْحِ جَهَالَاتِهِمْ،
وَأَنَّ الْحَقَائِقَ تُعْمِي وَتُصْمِي
يَقُولُونَ زُورًا مِنَ الْقَوْلِ يُزْرِي
كَمَنْ قَالَ لِلشَّمْسِ:
نُقْطَةُ صِفْرِ ...
سَعَى حِقْدُهُمْ فَاسْتَعَنْتُ بِجَدِّي

يَمُوتُونَ غَيْظًا بِزَهْرِي وَفُلِّي
وُجُوهٌ تَخَفَّتْ مِنَ الزَّيْفِ عَنِّي لِأَنِّي نَهَارٌ
وَهُمْ وَجْهُ لَيْلٍ،
يَعِيبُونَ سِحْرَ قَرِيضِي افْتِئَاتًا،
وَسِرًّا يَقُولُونَ: إِنِّي الْمُجَلِّي
فَطَبْعُ النُّفُوسِ الْأَثِيمَةِ يُبْلِي
يَرُومُونَ؛ جَهْلًا،
حِجَابًا لِعَقْلِي
فَتَبًّا لِنَفْسٍ حَوَتْ عَقْلَ فَدْمٍ
أُقَطِّرُ مِنْ مَدْمَعِ النُّورِ عِطْرِي
وَأَسْكُبُهُ كَالنَّضَارِ بِشِعْرِي
كَثِيرُونَ حَوْلِي،
قَلِيلُونَ عِنْدِي،
يَغَارُونَ مِنِّي لِأَنِّيَ فَارِسُ وَقْتِي
وَكَيْفَ يَرَى الْجَهْلُ
قَدْرِي وَعِلْمِي؟
وَكَيْفَ سَيَرْضَى حَسُودٌ بِمَجْدِي؟
فَإِنْ كَانَ فِي الشِّعْرِ مِثْلِي
فَجِيئُوا بِمِثْلِي
وَإِلَّا فَكُونُوا فُتَاتًا لِخُبْزِي
وَكُونُوا وَقُودًا لِأَضْوَاءِ شَمْسِي

الْأُسْطُورَةُ

صَرْحٌ مَمْرُودٌ مِنْ حَبِّ الْقَمْحِ
امْتَزَجَتْ مَعَهُ أَخْلَاطُ الْهُرْمُونِ الْمُتَخَلِّقِ مِنْ شَجَرِ الْغَيْبِ
لِيَسْتَنْبِتَ دُودًا مِنْ قَعْرِ الْبِئْرِ الْمَالِحِ
وَالْحَنْظَلُ لَا يُفْسِدُهُ الظَّمَأُ الْمُتَشَقِّقُ بَيْنَ الشَّفَتَيْنِ
فَحِينَ تُرَاوِدُهُ أَشْبَاحُ اللَّيْلْ
أَوْ حِينَ يَرَى فِي الصُّبْحِ لِقَاحًا يَنْتَزِعُ الْأَرْوَاحْ
تَتَغَذَّى مِنْهُ أَجِنَّةُ هَذَا الْكَوْنْ
تَكْبُرُ .. تَكْبُرُ حَتَّى يَكْبُرَ فِيهَا الْيَأْسُ الْمُتَنَاغِمُ بَيْنَ الرَّأْسِ وَبَيْنَ الْقَلْبِ،
يَقُولُ بِأَنَّ الْمَاثِلَ شَخْصُكَ
بَلْ شَخْصِي
أَنْتَ إِذًا لَا أَنْتَ،
فَكَيْفَ يَكُونُكَ يَسْتَخْفِيكَ وَتَسْتَخْفِيهِ؟
وَهَلْ يَتَبَدَّلُ فِي مَلَكُوتِ الْجِنْسِ الشَّخْصُ؟
أَلَسْتَ وَلِيدَ الْإِنْسِ؟
قَدِيمًا كُنْتَ
وَأَنْتَ تَرَانِي الْيَوْمَ صَدًى لِلسِّحْرِ،
تَبَنَّانِي الْقَهْرُ الْمَارِدُ وَالْأَشْبَاحُ
أَبِيعُ جِرَاحًا ثُمَّ جِرَاحْ
أَوْ أَنْعَمُ بِالذُّلِّ مَسَاءَ صَبَاحْ
أَنْظُرُ لَا أُبْصِرُ غَيْرَ اللَّوْنِ الْأَسْوَدِ فِي الْعَيْنَيْنْ
وَأَصَابِعُ أَيْدٍ مُرْتَجِفَةْ

وَالْقَلْبُ النَّابِضُ فِيهِ الصَّمْتُ
أُغَنِّي أُغْنِيَةَ الْأَلَمِ الْمُتَلَذِّذِ بِالْآهَاتِ،
كَأُغْنِيَةٍ تَعْرِفُهَا الْأَوْطَانُ الْمُحْتَرِقَةْ
بَيْنَ الْجَوْرِ وَبَيْنَ النَّارِ
نَشِيدُ شُعُوبِ الْأَرْضِ الْمَخْمُورَةِ بِالْوَيْلْ
دُسْتُورُ النَّهِمِينَ يُجِيزَ لَهُمْ أَكْلَ الْجَوْعَى
أَوْ أَكْلَ رَمَائِمِهِمْ فِي شَتَّى الْأَزْمَانِ،
أَسَاطِيرٌ وَأَحَادِيثٌ وَعُلُومٌ وَقُلُوبٌ وَعُقُولٌ
تَتَحَدَّثُ مِنْ شُرُفَاتِ الْفِكْرْ
هِيَ أَجْزَاءٌ لِمْ تُوجَدْ بَعْدُ
تَرَاهَا أَجْسَامًا تَتَشَبَّهُ بِاللَّيْلِ،
وَأَحْلَامُ الْغَمْضِ تَرُودُ النَّوْمَ،
تَرَى أَشْبَاهَ الْعُمْرِ
وَتَشْعُرُ أَنَّ الْحِسَّ هُوَ الظَّنُّ
وَتَعْرِفُ أَنَّ الْمَاءَ هُوَ الْخَلْقُ،
خَيَالٌ تِلْكَ الشَّمْسُ وَهَذَا النَّجْمُ،
ظِلَالٌ تِلْكَ الرِّيحُ وَذَاكَ الْغَيْمُ،
أَمَانٌ بَعْدَ الْخَوْفِ الْمَوْتُ،
حَيَاةُ خَيَالٍ وَخَيَالُ حَيَاةٍ،
مِنْ خَلْفِ زُجَاجِ الْأُسْطُورَةْ

الْغَنِيُّ

النَّارُ حَوْلَكَ تَتَّقِدْ
هَيَّا ابْتَعِدْ
أَوْ عِشْ عَلَى نَارِ الْجُحُودِ
فَإِنَّ مَنْ تُعْطِي جَحَدْ
تَبْكِي جِرَاحَاتِ الْأَنَامِ
وَمَا رَثَى مِنْهُمْ أَحَدْ
قَالُوا: غَنِيٌّ عِنْدَهُ الْأَمْوَالُ
فَائِضَةُ الْمَدَدْ
وَذَوُو الْغِنَى فَوْقَ الْمَقَادِرِ!
لَا يَمَسُّهُمُ الْكَمَدْ
نَامُوا عَلَى سُرُرِ الْآرَائِكِ مُتْرَفِينَ
مُنَعَّمِيْنَ بِغَيْرِ حَدْ
وَصَفُوا الْغِنَى بِالْكِبْرِيَاءْ،
نَسَوِا السَّخَاءَ
وَكَمْ تُرَى جَرَحُوا النَّدَى عِنْدَ الْكِرَامْ
فَلِئَامُهُمْ قَتَلُوا الْوَفَاءْ
وَلَكَمْ يَرَوْنَ بِأَنَّهَا مَغْفُورَةٌ لِلنَّاسِ
هَاتِيكَ الذُّنُوبُ
سِوَى ذُنُوبِ الْأَغْنِيَاءِ
فَيَا لِأَصْوَاتِ الْغَبَاءْ!

لُغَةُ الْأَرْوَاحِ وَالسِّمَاتِ

سِرُّ الدَّفِينِ إِذَا ارْتَحَلْ
سِرٌّ يُطَاوِلُهُ الْأَمَلْ
لِهُنَا تُبَاعِدُهَا هُنَاكَ،
لِكُلِّ حلْمٍ مُحْتَمَلْ
وَالنَّايُ صَوْتُ الْحُزْنِ
وَالْأَيَّامُ تَارِيخُ الْمَوَاجِدِ
مُذْ عَرَفْنَا الصَّرْخَةَ الْأُولَى مِنَ الْمِيلَادِ
أَوْ مُذْ تَعَلَّمْنَا اشْتِقَاقَاتِ الْمَعَانِي
مُنْذُ صُغْنَا الصَّوْتَ حَرْفًا لِلْخَطَابَةِ وَالْخِطَابِ
فَمَا حُرُوفُ الْأَبْجَدِيَّةِ فِي الْعَوَالِمِ تَخْتَلِفْ
أَلِفٌ أَلِفْ
فِي كُلِّ أَنْوَاعِ اللُّغَاتِ
وَمَا تَبَدَّلَ غَيْرُ لَحْنِ الصَّوْتِ وَاللَّفْظِ الْمُتَرْجَمِ
مِنْ لِسَانٍ عَنْ لِسَانٍ، وَالْيَقِينُ الْحُكْمُ
مِنْ فِطَنِ الْجِنَانِ
وَمِنْ أَحَادِيثِ الشِّفَاهِ
صَدًى يُعَلِّمُنَا الْبَيَانَ،
فَهَلْ تَحَسَّسْنَا السُّعُودَ أَوِ النُّحُوسَ؟
لِكَيْ نَرَى نُطْقَ السِّمَاتِ عَنِ اللُّغَاتِ
فَمَا الْكِتَابَةُ كَالْمَرَايَا فِي النَّظَرْ
كُلُّ الْحُرُوفِ أَوِ الْمَعَانِي مِنْ قَوَامِيسِ الصُّوَرْ

هَذَا الْخَيَالُ
كَأَنَّهُ طَيْفٌ يَمُرُّ عَلَى الْقِرَاءَةِ
وَالْعِبَارَةِ وَالْبَلَاغَةِ، لِلشَّجَرْ
لُغَةُ الْحَفِيفِ إِذَا تَمَايَلَتِ الْغُصُونُ تُوَشْوِشُ الْأَوْرَاقَ
تَرْوِي عَنْ حِكَايَاتِ الْبَرَاعِمْ
وَالطَّيْرُ قَدْ فُطِرَتْ عَلَى حَذَرِ الْخَطَرْ
مِنْ دُونِ إِيحَاءِ الْكَلِمْ
حَتَّى الْكَوَاكِبُ وَالشُّمُوسُ
وَبَعْضُ أَجْرَامٍ أُخَرْ
لِلنُّورِ أَلْفَاظٌ وَمَعْنًى كَالسُّؤَالِ وَكَالْخَبَرْ
وَالصَّمْتُ آهَاتٌ مِنَ الْأَنْفَاسِ
تَشْكُو الضِّيقَ وَالْآلَامَ،
تَشْعُرُ أَنَّ فِي الْأَفْرَاحِ
تَبْتَسِمُ النُّجُومُ إِلَى الْقَمَرْ
إِلَّا السُّدُمْ
فَهِيَ الدُّجَى الْمَغْلُولُ وَالْمَوْتُ الْعَدَمْ
جُثَثُ الْمَعَانِي وَالْحُرُوفِ
دَفَائِنُ التَّارِيخِ مِثْلُ الطِّينِ أَشْلَاءٌ رِمَمْ
أَجْدَاثُ أَصْوَاتِ الْأُمَمْ
لَكَأَنَّهَا الْأَرْوَاحُ تَهْمِسُ فِي الْخَلَائِقِ مِثْلَمَا النَّجْوَى
فَمِنْ رُوحٍ لِفَمْ
تَتَوَحَّدُ الْأَلْفَاظُ مِنْ وَحْيِ الْفُهُومِ
وَيَنْجَلِي وَجْهُ الْحَقِيقَةِ فِي الزَّمَنْ

فَخَوَارِقُ الْإِعْجَازِ
تَفْتَضُّ الْغُيُوبَ مِنَ الْحُجُبْ
وَسَتَخْتَفِي كُلُّ الظُّنُونِ أَوِ الرِّيَبْ
وَلَسَوْفَ يَعْلَمُ كُلُّ خَلْقٍ مُبْتَدَاهُ
وَلَا يَكُونُ لَهُ انْتِهَاءْ
فَكَأَنَّهُ عِلْمُ الْمَصِيرِ
وَعِلْمُ مَا تُخْفِي الصُّدُورُ
وَمَا يَدُورُ بِكُلِّ أَحْقَابِ الدُّهُورِ
تَرَى الضَّمَائِرَ كَالشُّمُوسِ
مُكَشَّفَاتٍ لِلْعُقُولِ وَلِلْعُيُونْ
مِنْ كُلِّ آيَاتِ الْمَعَارِفِ وَالْعُلُومِ سَتَحْتَقِبْ
فِي الْبَدْءِ تَرْتَابُ النُّفُوسُ
يُعِيدُ أُلْفَتَهَا الْخُلُودْ
لَكَأَنَّمَا كُلُّ الْحُرُوفِ
وَكُلُّ أَصْدَاءِ اللُّغَاتِ
مِنَ الْقُلُوبِ إِلَى الْعُقُولِ،
وَفِي الثُّغُورِ تُعَدُّ مِنْ بَعْضِ الفُضُولِ
إِذَا عَرَفْنَا سِرَّ (كُنْ) كَيْمَا نَكُونْ.

بِنْتُ السَّنَا

يَا (لَيْلُ)
لَوْ تَدْرِينَ عَنْ شَوْقِي
وَعَنْ حُبِّي الدَّفِينْ
أَنَا مَنْ رَآكِ
كَأَنَّكِ الْحُلُمُ الشَّهِيُّ
بِدَوْحَةٍ خَضْرَاءَ، يَا شَقْرَاءُ
فِي ثَوْبِ الْمَسَاءْ
تَسْتَافُ مِنْ نَسَمِ الْهَوَى
مِنْ بَرْدِ أَنْفَاسِ الشَّذَى
كَالْمُهْرَةِ الْجَذْلَى عَلَى ظَهْرِ الْمَدَى
وَأَنَا أُحَدِّقُ لِلنَّدَى
يَسْقِي خُدُودَكِ وَالْجَبِينْ
يَا دِيمَتِي الْأَحْلَى عَلَى جَبَلِ السِّنِينْ
سَيْفَانِ فِي عَيْنَيْكِ حِينَ تُجَرِّدِينَ
فَمَا عَلَيْكِ إِذَا جَرَحْتِ، وَإِنْ طَعَنْتِ؛
فَقَدْ خُلِقْتِ تُقَتِّلِينْ
مَا زِلْتِ فِي شَرْخِ الصِّبَا
مِنْ نَبْتِ أَزْهَارِ الرُّبَى
وَفُتُونِ كُلِّ الْأَوَّلِينْ
فَلَكِ الْجَمَالُ، لَكِ الدَّلَالُ، لَكِ الْجَلَالْ
وَلَكِ الْفُتُونُ لَكِ الْكَمَالْ

لَكِ كُلُّ مَا خَلَقَ الْإِلَهُ
لِكُلِّ رَبَّاتِ الْحِجَالِ
فَمَنْ شَرِيكُكِ فِي الْجَمَالِ
وَأَنْتِ سِحْرُ الْقَادِمِينَ؟
وَأَنْتِ مِنْ نُطَفِ السَّمَاءِ
وَمَا خُلِقْتِ مِنَ التُّرَابِ
وَلَا الْأَدِيمِ، وَلَسْتِ طِينْ
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ قَدْ خُلِقْتِ وَأَيِّ (جِينْ)؟
بَعْضٌ يَرَاكِ مِنَ الْمُنَى
وَالْبَعْضُ ظَنَّكِ مِنْ مُزُونْ
وَأَنَا أَرَاكِ مِنَ السَّنَا
مِنْ حُورِ عِينْ
يَا (لَيْلُ) يَا عُمْرَ الرَّبِيعِ
إِذَا تَرَكْتِ لَنَا الشَّقَاءَ
يُقَارِعُ الصَّيفُ الشِّتَاءْ
وَتَدُورُ إِنْ لَمْ تَعْطِفِي
حَرْبٌ ضَرُوسْ
حَرْبُ الْكَوَاكِبِ وَالشُّمُوسْ
وَتَعُودُ فِي بَكْرٍ وَتَغْلِبَ عُنْوَةً حَرْبُ الْبَسُوسْ
كُلٌّ يُطَالِبُ بِالْعَرُوسْ
حَتَّى إِذَا دَبَّ الْفَنَاءُ
وَمَاتَ كُلُّ الْعَاشِقِينْ
سَتَرَيْنَ أَنِّي لَمْ أَزَلْ حَيًّا

وَسَيْفِي فِي يَدِي وَسَتَعْرِفِينَ ...
بِأَنَّنِي وَحْدِي أَبَدْتُ قَبَائِلًا وَعَشَائِرَا،
أَحْرَقْتُ مِنْ خَوْفِي عَلَيْكِ مَمَالِكًا وَمَدَائِنَا
قَتَّلْتُ مَنْ نَظَرُوا إِلَيْكِ بِطَرْفِ عَيْنْ
سَتَرَيْنَ أَنِّي مَنْ أَحَبَّكِ، وَافْتَدَاكِ مِنَ الَّذِينْ
هُمْ مِنْ ضَوَارِي الْوَحْشِ فِي الْإِنْسَانِ
يَا مَنْ صِرْتِ بِلْقِيسَ[1] الزَّمَانِ
مَلِيكَةً حَكَمَتْ سَبَأْ
وَالْهُدْهُدُ اسْتَرَقَ النَّبَأْ
هَذَا الْمُحِبُّ يُرِيدُكِ السَّكَنَ الْأَمِينْ
أَوَ تَقْبَلِينَ بِه قَرِينْ؟
رَدَّتْ عَلَى مَلَأ النُّجُومْ
إِنِّي الْمَلِيكَةُ وَالْمَلِيكَةُ مَهْرُهَا مَهْرٌ عَظِيمْ
مَهْرِي يَكُونُ الْبَدْرَ فِي يَدِيَ الشِّمَالْ
وَالشَّمْسُ فِي يَدِيَ الْيَمِينْ
فَأَجَابَهَا إِنِّي ارْتَضَيْتُ
وَسَوْفَ أُهْدِيكِ الْمُنَى
مِنْ قَطْفِ ضَوْءِ الْمُسْتَحِيلْ
لَيْلَايَ إِنْ شِئْتِ الْمَزِيدَ
أَزِيدُ عَمَّا تَطْلُبِينْ
قَالَتْ جَمِيعُكَ مَا أُرِيدُ

(1) الْمَلِكَةُ: بِلْقِيسُ بِنْتُ الْهَدْهَادِ بْنِ شَرَاحِيلْ عَلَيْهَا السَّلَامُ، أَوَّلُ امْرَأَةٍ تَحْكُمُ فِي الْكَوْنِ الْأَرْضِيِّ وَهِيَ مَلِكَةُ سَبَأٍ بِالْيَمَنِ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ سُلَيْمَانَ الْحَكِيمِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَفِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ.

وَأَنْتَ أَقْسَمْتَ الْيَمِينَ
بِجَنَّةٍ تَحْوِي الثَّمِينْ
وَقَدِ ابْتَلَيْتُكَ كَيْ أَرَى قَدْرِي الْمَكِينْ
فَلَأَنْتِ يَا لَيْلَى بِقَلْبِي تَسْكُنِينْ
وَرِضَاكِ فِي نَفْسِي رِضَاءُ الْعَالَمِينْ

الْعَصْرُ الذَّبِيحُ

إِهْدَاءٌ إِلَى صَدِيقِي الشَّاعِرِ أَدُونِيس

خُوضِي غِمَارَ اللَّيْلِ يَا بِنْتَ النَّهَارْ
وتَدَثَّرِي بِالرِّيحِ، بِالْحُلْمِ الْجَرِيحِ
وَتَمْتِمِي فِي السِّرِّ قَوْلِي
إِنَّهُ الْعَصْرُ الذَّبِيحُ
إِذَا رَأَيْتِ الْأَحْمَرَ الْقَانِي
يَسِيلُ عَلَى خُدُودِ الدَّهْرِ
تِلْكَ دُمُوع عَيْنِ الْقَهْرِ
تَسْقِي النَّهْرَ،
مِنْ بَعْدِ اللُّجَيْنِ دَمًا تَقَطَّرَ مِنْ تَبَارِيحِ الشَّرِيدِ،
تَلَمَّسِي مَاءَ الثَّرَى، وَدَعِيهِ يَجْمُدُ كَالْجَلِيدْ
فَلَرُبَّمَا يَوْمًا تَرَيْنَ الْجَدْبَ يَخْصِبُ مِنْ جَدِيدْ
وَلَرُبَّمَا دَارَ الْمَدَارُ
فَأَشْرَقَتْ تِلْكَ الْقِفَارُ
وَذَابَ صَخْرُ الثَّلْجِ يَجْرِي بِالنَّضَارِ
فَحَدِّثِي الزَّمَنَ الْبَعِيدَ إِذَا أَتَى
عَمَّا مَضَى
عَنْ حَاضِرٍ نَعَقَ الْغُرَابُ بِهِ
وَمَاتَ الْعَنْدَلِيبْ

أَرَأَيْتِ كَمْ كَذَبَ الرُّوَاةُ
وَزَوَّرُوا الْأَحْدَاثَ فِي الْعَصْرِ الْهَجِينْ
وإِخَالُ أَنَّكِ بِالْحَقِيقَةِ تَنْطِقِينَ
وَتَكْتُبِينَ حَقَائِقَ التَّارِيخِ
وَحْدكِ أَنْتِ شَاهِدَةٌ عَلَى قَتْلِ الْبَرَاعِمِ
وَانْتِحَارِ الْيَاسَمِينِ
فَلَا تَخَافِي أَنْ تُسَمِّي
كُلَّ أَسْمَاءِ الْجُنَاةِ الْآثِمِينْ
فَلَقَدْ أَفَاقَ الرُّشْدُ يَا بِنْتَ الْحَيَاةِ
وَمَا اسْتَفَاقَ الْحَقُّ فِي قَلْبِ الطُّغَاةِ
وَلَمْ يُثِرْهُمْ كُلُّ لَعْنِ اللَّاعِنِينَ،
فَكُلُّ مَنْ فِيهِمْ كَمَا الْعِجْلُ السَّمِينُ
وَكُلُّ مَنْ فِيهِمْ ضَنِينْ
يَا لَلزَّبَانِيَةِ الَّذِينَ
عَلَى الضِّعَافِ، عَلَى الْجِيَاعِ
كَمَا الضِّبَاعِ تَحَلَّقُوا
لَمْ يَرْحَمُوا شَيْخًا وَلَا أَمَةً
وَلَا طِفْلًا
وَلَمَّا يَقْنَعُوا
بِالْمَالِ أَوْ مِلْكِ الْيَمِينْ
وَهْمًا يَظُنُّونَ الْبَقَاءَ

كَأَنَّهُمْ كُتِبُوا بِسِفْرِ الْخَالِدِينْ
أَفَلَا تَرَيْنَ
الْكَادِحِينَ الصَّابِرِينَ عَلَى الْمَظَالِمِ وَالْمَوَاجِدْ
حَلَمُوا فَكَانَ جَزَاؤُهُمْ حَبْلَ الْمَشَانِقْ
وَحَيَاتُهُمْ فُرِضَتْ عَلَيْهِمْ
مِثْلَ مَعْبُودٍ وَعَابِدْ
وَالرَّافِضُونَ، مَصِيرُهُمْ سُوءُ الْمَصَائِرِ
إِنَّهُمْ يَتَرَهَّبُونَ وَيُرْهِبُونَ
يُصَوِّرُونَ الزُّهْدَ فِي حِيَلِ الثَّعَالِبِ
ثُمَّ يَنْقَضُّونَ يَنْتَهِبُونَ أَنْفَاسَ النَّسَائِمِ
بَيْنَمَا يَبْقَى السُّؤَالُ عَلَى الشِّفَاهِ وَفِي الْعُيُونْ
أَوَ حِينَمَا يَأْتِي الْجَوَابُ بِكُلِّ أَشْكَالِ النَّكَالِ أَوِ الْمَنُونْ
تَعْتَاشُ بِالصَّمْتِ الْبُطُونُ؟
لِكَي يَحِقَّ لَهَا التَّنَفُّسُ فِي السُّكُونْ
فَسِوَاهُمُ مَنْ ذَا يَكُونُ؟
إِذًا فَغُضِّي الطَّرْفَ يَا بِنْتَ الرُّبَى
وَذَرِي الْمَوَاطِنَ تُسْتَبَى
لَكِ نَظْرَةٌ أَوْ أَنَّةٌ، أَوْ آهَةٌ
لَكِ فَضْلَةٌ مِنْ صَيْدِ أَسْرَابِ الظِّبَا
مِنْ بَعْدِ إِشْبَاعِ الْأُسُودِ أَوِ الذِّئَابِ أَوِ الضِّبَاعِ أَوِ الْجَوَارِحِ
إِنَّمَا لَكِ قُوتُ يَوْمٍ لَا يُعِينُ عَلَى الشِّبَعْ

فَلْتَذْكُرِي الْأَحْدَاثَ يَا بِنْتَ الْحَيَاةِ
وَصَوِّرِي الْإِحْسَاسَ عَدْلًا مُفْتَرًى
لَا تَسْأَلِي الْجَوْعَانَ عَمَّا يُزْدَرى
فَلعلَّةٍ لَا نُقْتَرى
وَلِأَنَّنَا نَحْنُ الَّذِينَ
نُبَاعُ فِي سُوقِ الْمَزَادِ وَنُشْتَرَى
فَلَعَلَّ عَصْرًا سَوْفَ يَأْتِي
قَدْ يَجِدُّ بِهِ السُّرَى
وَلَعَلَّ جِيلًا يَبْتَنِي الْأَمْجَادَ فِي عَالِي الذُّرَى
وَلَعَلْ صَوْتَكِ مُسْمِعٌ وَلَعَلَّنَا.

اللُّغْزُ الْخَالِدُ

الطِّفْلُ النَّائِمُ فِي أَحْضَانِ الْقَلْبِ، سَنًا يَتَهَامَى، بَسْمَةُ عُمْرٍ، يَتَرَاءَى كَالْبُرْعُمِ فِي الزَّهْرِ، نَسِيمٌ يَتَأَرَّجُ بِالْعَطْفِ، وَيَرْعَى بَيْنَ عُيُونِ الدَّهْشَةِ وَاللَّهْفَةِ .. يَتَنَاءَى عَنْ أَقْنِعَةِ الزَّيْفِ، وَيَقْفِزُ مِثْلَ رَقِيقِ الطَّيْفِ، يُسَافِرُ بَيْنَ أَسَارِيرِ الْمُتْعَةِ وَالسَّعْدِ، يَرُودُ جَمَالَ الْوَرْدِ، يُثِيرُ الْحِسَّ، فَلَا يَحْذَرُ حَتَّى يَتَعَلَّمَ أَنَّ قِطَافَ الْوَرْدِ أَلِيمٌ فِيهِ الشَّوْكُ.

الطِّفْلُ وَصَوْتُ النَّايِ بَكَى بِلُحُونِ الْخَوْفِ، أَوِ الرَّهْبَةِ، قَطَرَاتُ دُمُوعٍ تَتَشَكَّلُ مِنْ آهَاتِ الشَّوْقِ وَتَنْبُتُ بِالْفِطْرَةِ، إِمَّا شَجَرَةُ نَخْلٍ، أَوْ شَجَرَةُ طَلْحٍ فَتُؤَانِسُهُ الْهَمْسَةُ، يَسْتَشْعِرُ بِالْقَسْوَةِ، يَتَشَوَّفُ لِلرَّحْمَةِ، يَقْرَؤُهَا فِي صَفَحَاتِ كِتَابِ الدَّهْرِ، فَخَيْرٌ أَوْ شَرٌّ، يَتَنَامَى فِي رَوْضِ الْحُبِّ، وَكَهْفِ الْبُغْضِ، تَلُوحُ عَلَى الْأَنْظَارِ حُقُولٌ مِنْ نَبْتٍ أَخْضَرَ، أَوْ أَصْفَرَ، أَوْ أَحْمَرَ، أَوْ أَسْوَدَ، أَوْ أَبْيَضَ، أَسْرَابٌ مِنْ شَفَقٍ تَتَعَدَّدُ فِيهِ الْأَلْوَانُ لِتُورِقَ فِي أَغْصَانِ الطَّلْعِ ثِمَارٌ مُؤْذِنَةٌ بِالْقَطْفِ.

الطِّفْلُ الذِّكْرَى الْأَحْلَى وَالْأَغْلَى، كَشُعَاعِ خُيُوطِ الْفَجْرِ تَمُرُّ عَلَى هَرَمِ الْأَعْمَارِ، تُجَسِّدُ تَارِيخَ اللَّحَظَاتِ، تُنِيرُ غَيَاهِبَ أَعْمَاقِ الْأَيَّامِ وَتُخْصِبُ أَفْرَاحًا، كَانَتْ كَالظِّلِّ الْوَارِفِ بِالتَّحْنَانِ عَلَى جَدْبِ النِّسْيَانِ.

الطِّفْلُ بَرِيءٌ يَأْنَسُ مِنْ لَا شَيْءٍ، يَتَهَيَّأُ نَبْضَ شُعُورٍ فِي اللَّيْلِ الْمَسْدُولِ، يُشِيعُ النُّورَ عَلَى كِسَفِ الدَّيْجُورِ، يُحِيلُ فُصُولَ الدَّهْرِ إِلَى فَصْلٍ، هُوَ فَصْلُ الْحُبِّ. تَأَمَّلْ فِي الطِّفْلِ السَّاهِرِ فِي الْأَحْدَاقِ، الْوَاثِبِ نَحْوَ خَيَالٍ يَخْتَرِقُ الْآفَاقَ، تَنَاسَى مَا قَاسَى مِنْ جُهْدِ النَّفْسِ، يَعُودُ لِيَجْهَدَ مِثْلَ الْأَمْسِ يَعُودُ لِيَجْرِيَ، يَلْعَبَ، يَبْكِيَ، يَضْحَكَ، يَشْتِمَ يَضْرِبَ يَهْرُبَ يَنْهَلَ مِنْ أَنْفَاسِ الثَّلْجِ وَيَطْعَمَ مِنْ أَفْنَانِ الْمَرْجِ.

الطِّفْلُ الْمُتَمَرِّدُ بِذَكَاءِ الْعَقْلِ يُوَارِي الْجَهْلَ، يُعَادِي الضَّيْمَ، يُحِبُّ اللَّثْمَ، يَبُثُّ الرِّفْقَ، لِئَلَّا يَتَلَعْثَمَ فِيهِ النُّطْقُ، فَعَالَمُهُ حُرٌّ أَوْسَعُ مِنْ غَابَاتِ الصَّمْتِ وَمِنْ أَغْلَالِ الْعَذْلِ فَلَا يَمْرَضُ بِالْأَدْوَاءِ الْفَتَّاكَةِ مِثْلِ الْحِقْدِ وَمِثْلِ الْخَتَلِ، يُجِيدُ الْهَزْلَ فَيَمْحَضُ صَفْوَ الْحُبِّ وَلَا يَبْخَلُ، حَتَّى إِنْ جَارَ عَلَيْهِ الْوَقْتُ فَلَا يَقْتَرِفُ الْغِلَّ، فَيُطْلِقُ عِنْدَ الضَّعْفِ لِسَانَ الْبَوْحِ، لِيُعْلِنَ أَنْ لَا شَيْءَ يُسَاوِي الْعَدْلَ.

الطِّفْلُ سَيَكْبُرُ، يَنْظُرُ، يَتَعَلَّمُ، لَكِنَّ لَهُ الْعِلْمَ الْأَقْدَمَ مِنْ عِلْمِ التَّكْوِينِ الْأَعْظَمِ، لَا غَيْبُ الْمَجْهُولِ الْمُعْدِمِ، يَنْشَأُ بِالْفِكْرِ إِذَا اسْتَلْهَمَ، يَرْحَلُ فِي التِّيهِ مَتَى أَظْلَمَ، يَتَنَاقَضُ فِي عَيْنَيْهِ زَمَانٌ كَانَ وَآخَرُ سَوْفَ يَكُونُ وَيَحْتَارُ فَهَلْ يَسْلَمُ أَوْ يَسْتَسْلِمُ؟ أَوْ يَخْتَارُ طَرِيقَ الْأَخْيَارِ فَمَا يَنْجُو مِمَّنْ يَظْلِمُ، تَتَقَاسَمُهُ الْآمَالُ، مَعَ الْآلَامِ وَلَا يَسْأَمُ، فِي أَيِّ طَرِيقٍ سَيَكُونُ الدَّرْبُ الْأَقْوَمُ، يَرْجُو، يَسْأَلُ، أَوْ يَتَظَلَّمُ، لَا يَعْذُرُهُ الْعُذْرُ وَلَا يُنْقِذُهُ إِلَّا أَنْ يَسْلُكَ مَا يَقْضِي الزَّمَنُ الْمُبْهَمُ.

الطِّفْلُ السَّاكِنُ فِي أَحْشَاءِ الْأُمِّ وَقَلْبِ الْأَبِ، وَالْهَانِئُ فِي أَوْطَانِ الْحُبِّ، تَرَشَّفُ مِنْ لَبَنِ الْكَوْكَبِ، يَرْتَاحُ عَلَى مَهْدِ السُّلْوَانِ، فَلَا يَأْبَهُ بِالسُّلْطَانِ وَبِالنُّدْمَانِ، وَلَا يَغْضَبُ. يَتَسَاوَى فِيهِ الْأَسْهَلُ وَالْأَصْعَبُ، لَا هَمَّ لَدَيْهِ، يَخَافُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وَمَا يَشْعُرُ بِالذَّنْبِ إِذَا أَذْنَبَ، حَتَّى يَشْتَدَّ قِوَامُ الْجِسْمِ فَيَحْبُو، يَتَعَثَّرُ، لَا يَتَأَثَّرُ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَمْشِيَ وَيُحَاوِلُ أَنْ يَأْتِيَ، وَيُحَاوِلُ أَنْ يَذْهَبْ.

الطِّفْلُ: أَنَا أَوْ أَنْتَ، وَقَدْ كُنَّا نَتَخَلَّقُ مِنْ نُطْفَةِ مَاءٍ فِي رَحِمِ الدُّنْيَا، صِرْنَا أَسْمَاءً أَجْنَاسًا ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى، تَتَوَالَدُ مِنَّا أَحْيَاءٌ تَخْرُجُ مِنْ بَطْنِ الظُّلْمَةِ، تَنْسَلُّ مِنَ الْمَقْدُورِ إِلَى الْحِكْمَةِ، فَعُقُولِ الْبَدْءِ هَوَاءٌ، إِذْ تَتَقَلَّبُ أَوْ تَتَسَابَقُ فِي الْأَرْجَاءِ، تَتَصَارَعُ فِي اسْتِحْوَاذِ الْهَمِّ، وَتَمْلِكُ كُلَّ فُتُونِ الْوَهْمِ مِنِ اسْتِكْثَارِ الْغُنْمِ إِلَى اسْتِعْلَاءِ الذَّاتِ، تَفُكُّ مَغَالِقَ هَذَا الْكَوْنِ عَلَى اسْتِحْيَاءٍ أَوْ تَسْبَحُ فِي يَمِّ الْأَفْلَاكِ، وَتَرْكَبُ صَهَوَاتِ الْإِغْرَاءِ، تُسَافِرُ بِالنَّظْرَةِ فِي الْأَنْحَاءِ، فَتَسْتَكْشِفُ أَنَّ النُّورَ هُوَ النَّارُ وَأَنَّ شُعَاعًا يَعْتَمِرُ الْأَرْوَاحَ، وَأَنَّ الرِّيحَ مَطَايَا تَعْتَسِفُ الْأَهْوَاءَ .. تَدُورُ عَلَى أَمْوَاجِ بُحُورٍ هَوْجَاءَ، وَأَنَّ قُيُودَ الْمَأْسُورِينَ تُحَوِّلُ كُلَّ سُجُونِ الْأَرْضِ قُصُورًا، تُبْهِجُ هَذَا الطِّينَ وَهَذَا الْمَاءَ، وَكُلُّ غَدٍ يَأْتِي مَحْفُوفًا بِالْأَصْدَاءِ، فَقَوِّ الْعَزْمَ، وَطَوِّحْ بِالْأَرْزَاءِ، وَجَدِّدْ مِيلَادَ الْأَعْيَادِ بِوأْدِ الدَّاءِ.

الطِّفْلُ: حَيَاةٌ لِلْأَرْوَاحِ، رَبِيعٌ لِلطَّرْفِ السَّاهِدِ، فِيهِ الْأَحْلَامُ تَطُوفُ كَمَا الطَّيْرُ الشَّارِدُ تَتَصَادَى بِالْبَهْجَةِ فِي الْأَمَلِ الْوَاعِدِ، فِي غَمْرَةِ حُزْنِكَ كُنْ طِفْلًا، لَا تَعْبَأْ بِالْأَشْجَانِ، وَكُنْ أَصْفَى مِنْ مَاءِ الْعَيْنِ عَلَى خَدِّ الْجَذْلَانِ، وَكُنْ قَلْبًا مَمْلُوءًا بِالْإِحْسَانِ، وَقُمْ وَاصْنَعْ مِنْ بَعْضِ أَدِيمِ الْأَرْضِ قِبَابًا وَبُيُوتًا يَسْكُنُهَا الْمَوْجُ، وَجَدِّلْ مِنْ أَحْدَاقِ الشَّمْسِ ضِيَاءً، يَرْسُمُ فِي اللَّيْلِ بَهَاءَ الْبَدْرِ، وَيَقْبِسُ لِلْبُؤْسِ بَرِيقًا يَتَضَرَّجُ بِالْأَلْوَانِ، وَيَنْسُجُ مِنْ أَسْمَالِ الْفَقْرِ بُرُودًا أَثْمَنَ مِنْ قَصَبِ الْكِتَّانِ. وَسَافِرْ لِرُبُوعِ الْغَيْمِ، تَوَلَّهْ بِالنَّجْمِ، تَضَاحَكْ بِالْوَجْدِ، وَطَهِّرْ بِدُمُوعِكَ

وَجْهَ الْعَصْرِ، لِيُشْرِقَ فِيهِ الصِّدْقُ الْغَارِقُ فِي أَعْمَاقِ الْقَهْرِ، تَحَرَّرْ مِنْ أَشْبَاحِ الرُّعْبِ وَمُدَّ بِسَاطَ الْجُودِ عَلَى مَنْ أَنَّ، لِتَأْمَنَ كُلَّ الْأَمْنِ، فَإِنْ أَلْفَيْتَ الْكَوْنَ عَجِيبًا، وَالْعُمْرَ غَرِيبًا، سَتَرَانِي، السَّاجِدَ وَالْعَابِدَ فَاتْرُكْنِي طِفْلًا يَتَمَلَّى بِالْحُسْنِ، وَحَطِّمْ أَنْيَابَ ضَوَارِي الشَّرِّ، وَلَا تَسْتَرْجِعْ عَهْدَ الْجَهْلِ، وَقُلْ أَحْرَقْتُ جُذُورَ الْغِلِّ، دَفَنْتُ الْحَاقِدَ وَالْحَاسِدَ، أَفْرَغْتُ فُؤَادِي مِنْ سَوْءَاتِ الظَّنِّ، أَعِيشُ .. أَنَا اللُّغْزُ الْخَالِدْ.